

ابق في.. البيت



مع الحجر المنزلي زاد التألف وساد الحزن والكآبة كثيرا من البيوت .

ومن تأمل الأمر، وجد أننا كثيرا ما نغفل عن نعم من الله بها علينا فننسى شكرها ،

بل كثيرا مانتنمر من أمور هي في حقيقتها نعم أكرمنا الله بها وقت أن حرمها غيرنا ..

فعلى سبيل المثال:

ترتفع أصوات النساء هذه الأيام بالشكوى من بقاء الأولاد والأزواج معهن طيلة الوقت ، ومايعقب ذلك من كثرة طلبات وتدخلات وفوضى وزيادة أعباء على الزوجة ، ومع تفرغ كثير من الأزواج والشباب من أعمالهم ، وجلوسهم غير المعتاد في البيوت ؛ يسود جو من التوتر تكثر معه المشاكل ، وتضيق الصدور بكثرة أفراد العائلة وتزاحمهم مع ضيق البيوت ، وتزايد طلباتهم في ظل هذا الحظر ..

فلنذكر كم من أغلق عليها بابها وهي وحيدة لا أنيس لها ، تتنمى أن لو امتلأ عليها البيت ولو واصلت ليلها بنهاها في التنظيف وتلبية الطلبات ..

فالله لك الحمد ولد الشكر على عوائل تملأ علينا دقائق يومنا ..

- أما الشغل في البيت والتنظيف والتعقيم وتلبية الطلبات التي لاتنتهي، فهذا باب آخر للتذمر..

وكم من لا بيت لها تنظيفه؛ قدر الله عليها أن تخرج من بيتها طريدة شريدة هي وأولادها ، تظلها خيمة لاتقيها نظرة عابر ولا برد شتاء ولا عدوى وباء..

فالله لك الحمد ولك الشكر على بيوت -أتعينا تنظيفها- سترتنا وآمنتنا بها وعوائنا ..

ومع حظر التجول تفرقـتـ كثـيرـ منـ العـوـائـلـ ، وحبـسـ بـعـضـ أـفـرـادـهاـ فـيـ بلدـ وـبعـضـهـمـ الآـخـرـ فـيـ بلدـ ثـانـ ، وزـادـ الـكـرـبـ والـشـوـقـ معـ طـولـ المـدـةـ ، وـسـادـ جـوـ منـ الـحـزـنـ والـاـكـثـابـ وـ..ـ التـذـمـرـ ..

وكم من عوائل فقدت معيلها أو ولدتها أو غالٍ من أفرادها ووسدته التراب ، حال الموت بينهم ولا أمل بلقاء فوق الثرى ..

فالله لك الحمد ولك الشكر وإن تفرقـتـ الأـجـسـادـ لـكـنـ أـحـبـابـناـ يـرـفـلـونـ بـالـصـحـةـ وـالـعـافـيـةـ فـيـ بـيـوـتـهـمـ آـمـنـيـنـ مـطـمـئـنـيـنـ ، وـخـدـمـةـ التـوـاصـلـ مـعـهـمـ مـتـاحـةـ عـبـرـ الشـبـكـاتـ عـلـىـ مـدـارـ السـاعـةـ .

وعلى هذا فلنـقـسـ ..

إنـ نـعـمـ اللهـ عـلـيـنـاـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـعـدـ وـتـحـصـيـ ..

ولـاـ يـجـمـلـ بـنـاـ وـنـحـنـ العـبـيـدـ الـفـقـرـاءـ إـلـىـ اللهـ إـلـيـنـاـ وـقـدـ غـمـرـنـاـ بـنـعـمـهـ وـأـلـطـافـهـ ثـمـ لـاـ يـسـمـعـ مـنـاـ إـلـاـ الشـكـوـيـ وـالتـذـمـرـ ..

فـلـنـقـمـ لـهـ عـزـ وـجـلـ مـثـنـيـ وـفـرـادـيـ ، وـلـنـتأـمـلـ مـاـحـبـابـاـ إـيـاهـ مـنـ نـعـمـ ، وـلـنـتـفـكـرـ فـيـ مـاـ جـلـبـهـ الـأـزـمـةـ مـنـ مـنـحـ ، وـلـنـقـمـ لـهـ بـوـاجـبـ شـكـرـهـ وـالـتـحدـثـ بـهـ ، وـإـشـاعـةـ الـفـأـلـ وـالـرـجـاءـ ، فـإـنـ النـعـمـ مـرـتـلـةـ وـقـيـدـهـ الشـكـرـ .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [ابراهيم : 7]

وـقـدـ كـانـواـ يـسـمـونـ الشـكـرـ :ـ الـحـافـظـ ؛ـ لـأـنـهـ يـحـفـظـ النـعـمـ مـنـ الـزـوـالـ ، وـيـسـمـونـهـ الـجـالـبـ ؛ـ لـأـنـهـ يـجـلـبـ النـعـمـ .

وـكـثـيرـاـ مـاـ يـعـجـبـ إـلـيـنـاـ وـهـوـ يـقـرـأـ قـوـلـ اللهـ تـعـالـىـ :ـ {وـقـلـلـ مـنـ عـبـادـيـ الشـكـورـ}ـ إـذـ غـالـبـنـاـ يـظـنـ نـفـسـهـ شـاكـرـاـ لـهـ !

قال ابن رجب رحـمهـ اللهـ: "ـ كـلـ نـعـمـ عـلـىـ الـعـبـدـ مـنـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ دـيـنـ أـوـ دـنـيـاـ،ـ تـحـتـاجـ إـلـىـ شـكـرـ عـلـيـهـاـ،ـ ثـمـ التـوـفـيقـ لـلـشـكـرـ عـلـيـهـاـ نـعـمـ أـخـرـىـ،ـ تـحـتـاجـ إـلـىـ شـكـرـ ثـانـىـ،ـ ثـمـ التـوـفـيقـ لـلـشـكـرـ الثـانـىـ نـعـمـ أـخـرـىـ يـحـتـاجـ إـلـىـ شـكـرـ آـخـرـ،ـ وـهـكـذـاـ أـبـدـاـ،ـ فـلـاـ يـقـدـرـ الـعـبـدـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـشـكـرـ النـعـمـ،ـ وـحـقـيـقـةـ الشـكـرـ:ـ الـاعـتـرـافـ بـالـعـجـزـ فـيـ الشـكـرـ".

فـمـاهـيـ حـقـيـقـةـ الشـكـرـ وـمـاـ أـرـكـانـهـ ؟

عـرـفـ الشـكـرـ بـأـنـهـ الـاعـتـرـافـ بـالـإـحـسـانـ ،ـ وـالـإـنـعـامـ ،ـ عـلـىـ وـحـهـ الـخـضـوعـ .

فـالـشـكـرـ يـكـونـ فـيـ مـقـابـلـةـ إـحـسـانـ الـمـنـعـ سـبـانـهـ عـلـيـكـ ،ـ فـتـشـكـرـ لـهـ ذـلـكـ إـحـسـانـ بـأـرـكـانـكـ الـثـلـاثـ :

بـقـلـبـكـ حـيـثـ تـعـرـفـ بـأـنـ مـاـ تـتـقـلـبـ فـيـهـ هـوـ إـحـسـانـ وـنـعـمـ ،ـ وـأـنـ تـعـرـفـ لـلـمـنـعـ بـهـ ،ـ فـلـاـ تـنـسـبـهـ لـغـيـرـهـ .

فـالـأـلـفـافـ وـالـتـذـمـرـ مـنـاقـضـ لـلـشـكـرـ مـنـ حـيـثـ هـوـ كـفـرـانـ لـلـنـعـمـ وـعـدـمـ اـعـتـرـافـ بـهـ .

وـكـذـاـ لـاـ يـشـكـرـ لـهـ مـنـ يـنـسـبـ مـاـهـوـ فـيـهـ مـنـ النـعـمـ لـنـفـسـهـ مـثـلاـ ،ـ فـكـثـيرـاـ مـاـ يـظـنـ الرـجـلـ أـنـ مـالـهـ يـأـتـيـ نـتـيـجـةـ كـدـهـ وـتـعـبـهـ وـجـهـهـ وـذـكـائـهـ ،ـ وـيـنـسـىـ أـنـ هـنـاكـ مـنـ هـوـ أـذـكـىـ مـنـهـ وـأـكـثـرـ جـداـ لـكـنـهـ لـمـ يـرـزـقـ مـاـرـزـقـهـ هـوـ ،ـ فـيـغـفـلـ عـنـ نـسـبـةـ هـذـاـ الرـزـقـ لـهـ تـعـالـىـ .

وكذا نسمع بعض النساء تتنسب سر توفيقها وسعادتها الزوجية لنفسها وحسن تعاملها وذكائها في معاملة زوجها ، وتغفل عن نسبة هذه النعمة لله ، وتنسى أن هناك نسوة كثُر أذكى منها وأحسن منها تعاملًا لكنهن غير موفقات في زواجهن .
فالملخص أن أولى مراتب الشكر يكون بالقلب .

وثاني أركان الشكر أن تشكر بلسانك ، فتحدث بنعمة الله عليك وتنثني به وتشكره عليها .
فلا يسمع منك شكوى للخلق ، ولا تذمروا ولا تأفوا ، بل شكرنا الله وتعادا لنعمه الظاهرة والباطنة .

وثالث الأركان أن تشكره بجوارحك وأعمالك، قال تعالى { اعملوا آل داود شكرًا }
وشكر الجوارح بأن تستخدم هذه النعمة في طاعته ، ومالحقك لأجله ، وأن تسخرها لعبادة الله والدعوة إليه وكل ما يقربك منه .

وأركان الشكر الثلاثة هذه ذكرها الشاعر بقوله :

**أفادتكم النعماً مني ثلاثةٌ
يدي ولسانٍ والضمير المحجاً**

ومن أراد تكميل دينه فعليه بالتحقق بمقامي الشكر والصبر ؛ فالشكر نصف الدين ، ونصفه الآخر الصبر ، وبقدر نقص أحدهما ينقص دين العبد .

فالعبد لا يخلو من أحد حالين : نعمة يشكر الله عليها وبطيبة يصبر عليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه.

وقد أمر الله المؤمنين بشكره : { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إيمانكم [البقرة: 172] . وقال { فاذكروني أذكريكم واشكروا لي ولا تكفرون } [البقرة: 152].

وجعله صفة لهم ولمقدميهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فوصف إبراهيم عليه السلام بقوله { إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين } شاكراً لأنعمه اجتباه وهذا إلى صراط مستقيم } [النحل: 120 - 121].

وقد سبق في قول ابن رجب أن الشكر على النعمة يستلزم شكرًا آخر على التوفيق للشكر ، فلا يزال العبد مقصراً في شكره لنعمة واحدة فكيف بسواها من النعم المتكاثرة التي لا تعد ولا تحصى .
ولذا يكون همَّ المسلم أن يعلم الوسائل التي يحقق بها هذه العبادة العظيمة .

كيف نشكر الله تعالى؟

ذكر الله تعالى في محكم كتابه وعلى لسان نبيه أموراً كثيرة يكون العبد بها شاكراً لله ، منها :
حمد الله عند كل أكلة وشربة " إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها " رواه مسلم
شكراً من أسدى إلينا معرفنا " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه الترمذى .

سجود الشكر عند تجدد النعم ؛ وهي سجدة واحدة يسجدها شاكراً لله إذا نزلت به نعمة جديدة ، ولا يشترط لهذا السجود طهارة ولا استقبال قبلة بل يسجد على حاله .

ركعتا الضحى حيث تجزئ عن شكر نعمة مفاصل الجسد كل صباح .

ومن شكر النعم المستمرة قول " اللهم ما أصبح بي من نعمة أو يأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر " من قالها حين يصبح فقد أدى شكر يومه ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته . قال النووي إسناده جيد .

تقوى الله { فاقروا الله لعلكم تشكرون }

التفكير في نعم الله تعالى { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِنَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [النحل : 78]

ولأن العبد لا يزال مفتقرًا لعون الله وتوفيقه ، كان من أنسف الأدعية له أن يسأل ربه ومولاه العون على عبادته وذكره وشكريه ، وكانت حاجة لذلك مثل حاجة للهوا وأشد ، وقد كان مما أوصى به رسولنا صلى الله عليه وسلم حبه معاذ بن جبل أن يدعوا دبر كل صلاة فيقول : " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " .

وهذا معنى قولنا في سورة الفاتحة { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ..

وختاماً

فإن الشكر أمان من العذاب ؛ إذ أن الله لا يعذب شاكراً ولا مؤمنا ، قال تعالى : { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعِذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ } [النساء: 147]. [تفسير الطبرى]

اللهم اجعلنا لك شاكرين ، لك ذاكرين ، لك مطوعين ، إليك أوابين مختفين ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ...

المصادر: